رحمها الله وتركتني دون إجابة. وأين تفاحة الفردوس الحمراء المغروسة في أحلامي من تلك الموجودة عند طرف إصبعي ؟! «هاتان تفاحتان حمراوان» . . وشتان شتان بينهما !

العلاقة بين الدال والمدلول أبعد ما تكون عن البساطة، فالدال الذي يستخدمه المرء، حتى قبل أن يدخله في علاقة مع المدلول، ليس أمراً واضحاً محدَّد المعالم، وإنما هناك معناه الظاهر، وتضميناته الكامنة، وهناك ظلال المعاني التي يكتسبها من خلال الدوال المترادفة أو شبه المترادفة معه، ثم هناك كذلك علاقته بالدوال الأخرى داخل وخارج النص، وهناك عشرات الأبعاد الأخرى للدال في حد ذاته. أما المدلول في حد ذاته، فهو الآخر غاية في التركيب. فقد يكون حالة عاطفية، أو حالة عقلية، أو حالة عاطفية عقلية، أو حالة عاطفية أصلها مادي، أو حالة مادية أصلها عاطفي، أو حالة مادية أصلها مادي، أو حالة مأساوية ملهاوية تاريخية رعوية يثرثر بها حكيم عجوز لا يعي تماماً ما يقول !

ومحاولة الربط بين الدال والمدلول ليست سهلة، ولا آلية، ولا حتمية. فهي تمرٌّ عَبْر الزمان والمكان الإنسانيين. وهي علاقة تبدأ في عقل الإنسان وقلبه (باعتباره الكاتب)، وتنتهي في عقل الإنسان وقلبه (باعتباره المتلقي). وعقل الإنسان قاصر كما يعرف البعض، وقلبه قُلَّب كما يتفق الجميع. فثمة مسافة طويلة من الأحلام والأوهام، والرغبات والأهواء، والأفكار والمصالح تفصل بين الدال والمدلول. كما نعرف أنه من المستحيل الإخبار عن الواقع كله حتى لو أراد المرء، فالواقع متشعِّب، وإدراكي له يجعله متزامناً حتى في تاريخيته وزمنيته. أما الخطاب، فبسيط، وتتعاقب فيه الكلمات ولا تتزامن. والعلاقة بين البنية اللغوية التي ينتمي إليها الدال، والبنية التاريخية أو الاجتماعية التي ينتمي إليها المدلول ـ علاقة مركبة إلى درجة كبيرة. فالبنية اللغوية بنية سكونية بشكلٍ عام، أما البنية التاريخية أو الاجتماعية فهي بنية متحركة متغيِّرة. ولذا، فثمةَ فجوة زمنية دائمة بين الدال والمدلول، قد تتزايد اتساعاً حتى يصبح الدال لا علاقة له بالمدلول. ويمكن القول إنه